Annals of letters and languages حوليات الآداب واللغات
ISSN 2335-1969 E.ISSN 506X - 2602
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/312

مجلة علمية دولية محكمة . كلية الآداب واللغات . جامعة محمد بوضياف .المسيلة الجزائر

المجلد 13 عدد :02 نوفمبر 2025 صفحة من : 36 إلى 48

الرمز الصوفي في شعر عقاب بلخير نماذج مختارة(متن العارفين)

Sufi symbolism in the poetry of Uqab Balkhir: Selected examples (Matn al-Arifin)

المؤلف الأول[1]* حكيمة بوشلالق	المرلف الثاني سهيلة عبد الكبير
hakima.bouchelaleg@univ-msila.dz جامعة محمد بوضياف المسيلة (الجزائر)	souhila.abdelkabir@gmail.com جامعة آكلي محند أولحاج البويرة (الجزائر)

ملخص	
يتميز الشعر الصوفي بقيم جمالية واضحة، وذلك من خلال انغماس الشاعر الصوفي في الرموز والإيحاءات، وهذا ناتج عن تعلقه بمذهب ديني أو فكري، وهذا ما يجعل الشعر الصوفي يكون مشحوناً بالدلالات وهذا راجع لتعلق الشاعر الصوفي في الذات الإلهية، وهذا ما نجده عند الشاعر عقاب بلخير الذي تبنى فكراً صوفياً في بعض قصائده، حيث ظهرت لغتهُ مشحونة بكمية كبيرة من المعاني وذلك من خلال توظيف لكلمات دالة وموحية تدل على ثقافته الدينية، ولعل الأمر الذي جعلنا نخوض في هذه الدراسة هو محاولتنا للكشف عن: إلى أي مدى استطاع الشاعر عقاب بلخير توظيف الرمز الصوفي وإيصال الفكرة للقارئ بصورة واضحة؟ وكيف صوّر جمالية الرمز الصوفي من خلال قصائده المختارة من ديوان متن العارفين؟ واقتضت طبيعة الموضوع أن نتبع المنهج الوصفي معتمدين على آلية التحليل وذلك من خلال تحليل بعض القصائد التي تم اختيارها في الدراسة.	***تاريخ الاستلام 2025/11/25: تاريخ القبول 2025/12/27:***
Sufi poetry is distinguished by clear aesthetic values, reflected in the poet's immersion in symbols and suggestions, which stem from their attachment to a religious or intellectual doctrine. This makes Sufi poetry rich in connotations, which is attributed to the poet's deep connection with the divine self. This feature is evident in the poetry of Aqab Belkhir, who embraced a Sufi ideology in some of his poems. His language is loaded with profound meanings, demonstrated through the use of significant and suggestive words that indicate his religious culture. The reason we embarked on this study is our attempt to explore to what extent Aqab Belkhir has employed Sufi symbolism and conveyed the idea clearly to the reader. How has he portrayed the aesthetic of Sufi symbols through his selected poems from the Diwan of Matn al-Arifin? The nature of the topic required us to follow a descriptive approach, relying on the method of analysis by examining selected poems in the study..	***Key words : Symbolism،Sufism، Poetry،Aqab Belkhir:***

[1] المؤلف المرسل :

مقدمة:

إنّ المتمعن في الشعر الصوفي يكتشف معان وخبايا كثيرة ،كما يكتشف لغة جمالية مشحونة بإيحاءات ودلالات فنية، تعبر عن وعي وحس ثابت لدى الشعراء المتصوفين ؛لأن الشعر الصوفي يمثل حلقة مفقودة من تراثنا، وذلك لأنّه لم يحظ بدراسات دقيقة رغم انطوائه على أبعاد معرفية وجدانية وروحية تنطوي على رموز خفية ،التي توحي إلى العديد من القضايا التي استوطنت فكر ووجدان الشاعر الصوفي ،ولعلّ استعمال الرمز في الشعر يعد من الظواهر الفنية البارزة في الشعر القديم، ولقد قام الشعراء المتصوفون كذلك باستعماله في قصائدهم وذلك بغية إيصال ما يشغل بالهم من موضوعات، وذلك بجعل اللغة تلبس حلة يسودها الغموض وهذا ما يختلف عن اللغة العادية ؛لأن من خلال استعمال الشاعر للرمز يستطيع الوصول إلى أهدافه ويوصل ما لديه من أفكار للقارئ، ولعلّ توظيف المتصوفة للرمز في شعرهم كان بصورة واضحة وكبيرة ونابعة من تجربتهم الصوفية، فقد استعملوا الرموز من أجل التعبير والتلميح وإعطاء إيحاءات عن ما يوجد داخل روحهم ونفسهم الباطنية ،ولعلّ هذا الأمر جعلنا نخوض في هذه الدراسة وهو الكشف عن الأبعاد الرمزية الصوفية وتجلياتها في شعر عقاب بلخير " نماذج مختارة من ديوان متن العارفين" محاولين في هذا معرفة: إلى أي مدى استطاع الشاعر عقاب بلخير توظيف الرمز الصوفي وإيصال الفكرة للقارئ بصورة واضحة؟ وكيف صوّر جمالية الرمز الصوفي من خلال قصائده المختارة من ديوان متن العارفين؟

واقتضت طبيعة الموضوع اتباع الخطة التالية: فقد بدأنا بتقديم تعريف لمفهوم الرمز وبيان أنواعه وخصائصه، ثم تطرقنا إلى مفهوم التصوف وعرجنا على الرمز الصوفي، مستعرضين تجليات الرمز الصوفي في شعر عقاب بلخير من *نماذج من متن العارفين* .وقد اعتمدنا في ذلك منهجًا وصفيًا، مستندين إلى آلية التحليل من خلال دراسة بعض القصائد المختارة بعناية. وختمنا البحث بعرض النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا التحليل، بما يعكس الإسهام العلمي للدراسة في فهم الرمز الصوفي وتجلياته الشعرية.

2. مفهوم الرمز:

1.2. لغة: وقد ورد في *لسان العرب* لابن منظور تعريف كلمة 'الرمز' كالآتي: «رَمَز، يَرْمُزُ، رَمْزًا: الرمز تصويت خفي باللسان كالهمس، ويكون بتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم لفظيًا ومن دون إبانة بصوت، وإنما هو إشارة بالشفتين. وقيل إن الرمز في اللغة يشمل كل ما أشرت إليه مما يُبَيَّن باللفظ، أي أي شيء أشرت إليه باليد أو العين. ويرمز، يرمز، رَمْزًا» (ابن منظور، ص1727).

"وقد عرّف الزمخشري الرمز بقوله : « رَمَزَ إليه وكلّمه رَمْزًا بشفتيه وحاجبيه، ويُقال : جارية غمازة بيدها همازة بعينيها، لمازة بفمها، رمازة بحاجبيها، ودخلت عليهم فتغامزوا وترامزوا وضربه حتى خرّ يرتمز للموت يتحرك كركة ضعيفة وهي حركة الوقيذ، ونبهته فما ارتمزوا وما ترمّز » (الزمخشري، د.ت، ص375)".

قد ورد تعريف كلمة 'الرمز' في قاموس المحيط على النحو التالي: «الرمز يشمل ويحرك الإشارة أو الإيماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد أو اللسان، ويشير إلى فعل الرمز أو الترميز. والرّمِيز يُطلق على الكثير الحركة، والمبجّل المعظّم، والعاقل، والكثير، والأصيل، والرّزين. كما يُقال 'إبل رَمْزٌ' بالضم سُحَاحٌ سَمَانٌ، أي: ناقة لا تكاد تمشي من ثقلها وسمنها» (الفيروز أبادي، 2005م، ص512)".

يمكن استنتاج مما سبق أن الرمز يعبر عن معانٍ تتجسّد في عبارات أو إشارات أو إيماءات، قد تكون بالعين أو الشفتين أو باليد، وغالبًا ما تكون هذه الإيماءات غير ملفوظة، مما يضفي على التواصل الرمزي بعدًا ضمنيًا يحتاج إلى التأويل لفهم معانيه الكامنة.

2.2. اصطلاحاً:

تعددت وتباينت المفاهيم والتعريفات لمصطلح 'الرمز'، ويعود ذلك إلى اختلاف اتجاهات الباحثين والدارسين. ومن هذا المنطلق، نجد أن أرسطو قد عرّف الرمز بقوله: «إن الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة». (محمد فتوح أحمد، 1984م، ص35)

في حين نجد أدونيس يتحدث عن الرمز فيقول: «الرمز هو ما يتيح لنا أن نتأمل شيئاً آخر وراء النص، فالرمز هو معنى خفي، وإيحاء إنه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة، أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءة القصيدة».(بوصلاح، 2000م، ص84)

ومن خلال تعريف أدونيس للرمز، نفهم أن الرمز عنده يُشير إلى معنى خفي وغير ظاهر للعيان، مما يعني أن فهمه لا يكتفي بالقراءة السطحية للنص، بل يتطلّب من القارئ بذل جهد تأويلي لاستكشاف الهدف والرسالة التي تحملها القصيدة، وهو ما يجعل التفاعل مع النص شعوريًا وفكريًا في الوقت ذاته.

ويعرف محمد غنيمي هلال الرمز وذلك في قوله: «الرمز صلة بين الذات والأشياء، بحيث تولد المشاعر عن طريق الإشارة الغنية، لا عن طريق التسمية والتصريح».(غنيمي هلال، 2001، ص24)

ونجد مصطلح الرمز عند مجدي وهبة يعني: «الكائن الحي أو الشيء المحسوس الذي جرى العرف على اعتباره رمزاً لمعنى مجرد كالحمامة أو غصن الزيتون رمزاً للسلام».(مجدي وهبة، 1984م، ص18)

وخلاصة القول إن الرمز لا يُدرَك عبر اللغة المباشرة أو التصريح الواضح بالدلالة، بل يتمّ اكتشافه من خلال ما يمنحه النص من إيحاءات وإشارات خفيّة تتجاوز ظاهر الخطاب إلى باطنه، مما يجعل فعل التأويل ضرورة لفهم المعنى العميق الكامن وراء الرمز.

3. أنواعه:

أ/ **الرمز الطبيعي**: وهو عبارة عن مجموعة من الإشارات والإيحاءات المستوحاة من الطبيعة والهدف منه زيادة القصيد جمالا ورونقاً.

ب/ **الرمز الديني**: ويتمثل في توظيف الشاعر لعدد من الرموز ذات البعد الديني، كالاستشهاد ببعض سور القرآن الكريم، وقصص الأنبياء، إضافةً إلى الأماكن المقدسة التي تحمل دلالات روحية عميقة. ويعكس هذا التوظيف تأثير التوجّه الديني للشاعر وما يختزنه لاوعيه من معارف ومخيّلات مرتبطة بالمقدّس، ليعيد إبرازها في نصوصه بأسلوب رمزي يكشف عن رؤيته الفكرية والروحية، ويُضفي على تجربته الشعرية بعدًا تأمليًا وجماليًا".

ونجد " ناصر لوحيشي" يعرف الرمز الديني بقوله: «ونعني به كل رمز في القرآن الكريم أو في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد».(ناصر لوحيشي، د.ت، ص66)

ج/ **الرمز التاريخي**: يلجأ الشاعر هنا إلى استحضار شخصيات وأحداث من التاريخ، موظِّفًا إيّاها داخل قصائده بوصفها رموزًا تحمل دلالات عميقة وأبعادًا تاريخية. ويُسهم هذا التوظيف في شحن النص بمعانٍ إيحائية متعدّدة، كما يمنحه ثراءً دلاليًا وجماليًا يعمّق بنية القصيدة شكلاً ومضمونًا، ويجعلها أكثر قدرة على التواصل مع الوعي الجمعي والتراثي.

د/ **الرمز الأسطوري**: ويُقصد به اعتماد الشاعر على استحضار بعض الرموز الأسطورية المتداولة، مثل أسطورة السندباد، وسيزيف، وتموز، وقابيل وهابيل، ليُسقط من خلالها رؤاه وأفكاره. ويتيح هذا التوظيف الرمزي للشاعر إمكانية التعبير عن قضاياه بوضوح أكبر، عبر الاستفادة من الطاقة الإيحائية الغنية التي تحملها الأساطير، وما تنطوي عليه من دلالات إنسانية ووجودية عميقة تُسهِم في تعزيز المعنى وتوسيع أفق القراءة.

وتقول " نسيمة بوصلاح" عن الرمز الأسطوري: «هو الذي يتخذ من الأسطورة إطاراً شاسعاً تتحرك فيه لواحقه».(بوصلاح، 2000م، ص111)

4. **خصائصه**: يتميز الرمز بمجموعة من الخصائص سنذكرها على النحو التالي:

- **الغموض**: وتعني به الخفي من الكلام أي المبهم غير الواضح.
- **الإيحاء**: هو أن يكون الرمز مفتوحاً على دلالات متباينة ومختلفة، حيث أنها عنوان للجمال الفني للتجربة، حيث الكثافة والعمق، وتعدد القراءات والتأويل.
- **الإيجاز**: ويسقط " ابن سينا الخفاجي" الرمز على الإيجاز في قوله:" والأصل في مدح الإيجاز والاختصار في الكلام، أن الألفاظ غير مقصودة في نفسها، وإنما المقصود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها الكلام".(ابن سنان الخفاجي، 1953م، ص251)
- **الاتساع**: وهو اللفظ الذي يتسع فيه التأويل وينطبق أيضا على التعبير الرمزي.
- **السياقة**: وهي إحدى خصائص الرمز، حيث يكون السياق في الرمز كالعينات السيميائية في النص يوجهه ويخلق له فضاءه الدلالي.
- **غير المباشرة في التعبير**:وهي السمة الأساسية التي بني عليها النص الحداثي برمته، كما يعد ركيزة أساسية من ركائز الأساليب الرمزية، يقول:" مالارميه": «سم شيئا باسمه، يحذف منه ثلاث أرباع شاعريته، كما أنها سمة بارزة في الكتابة في الفنون النثرية أيضاً».(بهاء الدين السبكي، 2003م، ص469)

5. **مفهوم التصوف**: كثرت التعاريف حول مصطلح التصوف ومن بينها نذكر:«لفظ تصوف مشتق من اسمه صوفي وهي مشتقة من الصفاء فجعلوا منه (صوفي) فعلاً مبنياً للمجهول من صافى، وقلب صوفي تجنب للثقل».(فاطمة داود، 2004، ص78)

وقد تعدّدت الآراء في أصل كلمة *التصوّف*؛ فمنهم من ربطها بالصوف، نسبةً إلى لباس الزهّاد الذين كانوا يرتدون الصوف علامةً على التواضع والزهد، ومنهم من نسبها إلى *أهل الصُّفّة* من صحابة رسول الله ﷺ لصفائهم وعبادتهم. وهناك من رأى أنّ التسمية جاءت لكون المتصوّفة في الصفّ الأول بين يدي الله تعالى، أي في مقام القرب. كما ذهب فريق آخر إلى إرجاع أصل اللفظ إلى اسم رجل زاهد في الجاهلية كان يُلقّب بـ صوفة، ويُقال إن اسمه *الغوث بن بركات*، وفي رواية أخرى *الغوث بن مرّ*، وكان معروفًا بالتعبّد

والانقطاع. كما أشار الزمخشري في أساس البلاغة والفيروز أبادي في قاموسه المحيط إلى أن قوما في الجاهلية سمو بهذا الاسم وكانوا يعبدون الله في الكعبة ومن تشبه بهم سمي صوفي».(فاطمة داود، 2004، ص78)

ويعتبر الجاحظ أول من استعمل لفظ صوفي عندما تكلم عن النساك وأن أبا هاشم الكوفي أو من لبسا الصوف وأطلق عليه متصوفاً لزهده في الدنيا».(فاطمة داود، 2004، ص 79)

وقال الجنيد:«التصوف أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام»(فاطمة داود، 2004، ص 79) ويعرفه أيضاً:«هو استرسال النفس مع الله على ما يريد»(فاطمة داود، 2004، ص 79) وقال بشر بن الحارث:«الصوفي من صفا قلبه لله».(فاطمة داود، 2004، ص 79)

56. الرمز الصوفي: "يعتمد الشاعر الصوفي على توظيف الرمز في قصائده بوصفه أداةً تعبيريّة تكشف عن خصوصية تجربته الشعرية، وتُضفي على العمل الأدبي بُعدًا جماليًا ورؤيويًا. فالخطاب الصوفي يتّجه بطبيعته نحو الرمز، باعتباره وسيلة لمعالجة قضايا كونية وإشكالات وجودية يعجز اللفظ المباشر عن استيعابها. ويُعدّ الرمز لدى المتصوفة لغةً موازية، يعبّرون من خلالها عن رؤاهم حول المجهول، وعن طبيعة العلاقة بين الإنسان والله، وكذلك بين الإنسان والكون. وينطلق هذا التوظيف من قناعتهم بأن ظاهر الأشياء ليس سوى انعكاس لباطنٍ أعمق وجوهرٍ أسمى، وأن الكشف عن هذا الجوهر لا يتحقق إلا عبر لغة الرمز وإيحاءاته".

ويقول المتصوفة في الرمز:«وقد عمدوا إلى الأسلوب التلميحي المرموز في نقل لطائف أسراره ودقائق معانيهم، وأذواقهم، إذ لم تسعفهم اللغة في حدودها الوضعية ولم تف بمقصدهم في التعبير عن مواجدهم، لأن مضامينهم قائمة على الذوق والحدس لا العقل والمنطق، وتنزع إلى المطلق المجرد لا المحدود المجسد، ويبقى الرمز أفضل السبل، وأكثرها ملاءمة لطبيعة المعاني الصوفية»(حياة معاش، 2011م، ص110) ويقول "عبد الكريم القشيري" في الصوفية:«الصوفية قصدوا إلى استعمال الألفاظ التي يكتشفون بها عن معانيهم لأنفسهم غير منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها».(القشيري، د-ت، ص178)

ويقول الطوسي في معنى الرمز عند الصوفية:«الرمز معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله»(أبو نصر الشرج الطوسي، د.ط، ص414)، وما نفهمه أخيراً هو أن ألفاظ الصوفية لها معاني خفية تظهر من خلال الرموز الموحية.

7. تجليات الرمز الصوفي في شعر عقاب بلخير " نماذج من ديوان متن العارفين":

1.7.رمز المرأة:

"يتجلّى حضور المرأة في شعر عقاب بلخير حضورًا متباينًا من حيث الدرجة والدلالة؛ إذ تتنوّع وظائفها الرمزية وتأثيراتها داخل المتن الشعري. ففي *ديوان متن العارفين*، ترتقي صورة المرأة لتغدو وسيطًا روحانيًا يربط الذات بمحبوبها الأعلى، أي بالذات الإلهية، حيث تتحول من مجرد عنصر جمالي إلى قناة للتواصل مع المطلق ومجال لتجليات العرفان. وقد تجسّد هذا البعد الرمزي بوضوح في عدد من قصائد الشاعر، ومن أبرزها قصيدة "**المقاصد** "التي يقدم فيها المرأة كجسر يوصل الروح إلى أعلى مراتب الصفاء والتعلق الإلهي".

أنا قصة للعاشقين لكل زمان أوجدته المتواجد
حقيقة
أنا فرحة كبرى وطيبة يمارس فن القول والقول
حالم كاسد

. (عقاب بلخير، 2011، ص13)

وقوله أيضا في قصيدة أخرى بعنوان " **الرقيب**":

في الحيّ حبّ من الأستار أرقبه مباهيا نوره نور السماوات
يبدي انصياعا ولكن في مداورة مع النجوم رهين في الملاءات
لا يظهر الوجه منه فالعيون له شواهقا في نداء أو مناجاة
حتى إذا الشمس بانت بان منه سنا يحكي الشموس ولكن بالأمارات
يدميك حتى ألقاك رق به قلب من الحب يعطي دون ميقات
يخاتل الرمش فيه كل سابحة من الطيور يعلو بانتفاضات
يصيب مقتله في كل آونة كأن باروده نار الشّظيّات
ياغادة الهيف بعض من ترفقكم يزيح هذا الصّديد الفض عن ذاتي
ياغادة الهيف ما كنا لنغدركم وأنت ما أنت في زعم اللقاءات
لولا العيون التي ألقت بسندسها على النفوس لغارت في الغيابات

حيران وحدي وفي الأقدار منتجعي ومن حديد الهوى جدت أوقاتي

"(عقاب بلخير، 2011، ص06)

"تتجسّد المرأة في هذا المقطع بوصفها محفّزًا جوهريًا لانفتاح الذات على عوالمها الداخلية؛ إذ يعمد الشاعر إلى إضفاء طابع رمزي عليها، يجعلها تجسيدًا للتعلّق بالذات الإلهية والارتقاء نحو المطلق. فالمرأة هنا ليست كائنًا محسوسًا فحسب، بل تتحوّل إلى مرآة تعكس أسمى المعاني الروحية، بما تحمله من دلالات الحنان والرحمة والرقة، وهي صفات تُسهم في تهذيب الوجدان وصقل التجربة الشعورية. ومن خلال هذا التمثيل، يضع الشاعر المرأة في مقام الوسيط الروحي الذي يهدي النفس إلى السكينة، ويمنحها القدرة على مواجهة قلق الوجود والانفتاح على آفاق التطهر والصفاء".

ونجد الشاعر عقاب بلخير قد تحدث في قصيدة " **أبعاد** "عن صورة المحبوب وذلك في قوله:

يـا أخـت فـيض مـن تـذكّر صـاحب بـرح اللجـام بـه فلـيس يقـاد
يـا أختنـا حنّـت لكـم أوجاعنـا وقضـت علـى أكبادنـا الأكبـاد
يـا أختنـا تهفـوا لكـم أشـواقا لـو حـاولوا إطفاءهـا تـزداد

(عقاب بلخير، 2011، ص10)

ما يظهر لنا في هذه الأبيات هو أن الشاعر بيّن لنا رمز المرأة حيث كان يرمز لها بأسماء وهنا مثلت المرأة صورة المحبوب الذي انبثق من الذات الإلهية، وبهذا مثلت المرأة عند الشاعر عقاب بلخير رمز للذات الإلهية التي جعلت هذا الكائن الحامل لأمور توضح تصوير الله له، وعظمته في ترتيب أشياء موجودة في هذا الكائن حيث نظر الشاعر لهذه المرأة التي هي مصدر حنان وعطف وجمال، وبهذا يزيد تعلق الشاعر بالذات الإلهية.

وقوله أيضا في قصيدة " **عينا حبيبتي**"

عينـا حبيبـي موجـة قـد صـعّدت للـرّيح تسـبقها إلـى الشـطآن
ولـه إذا غنّـى النـداء قصـيدة تلقـى بصـوت الـريح والغـدران
والكـل منـبجس لحسـن غنائـه والعـازفون خلاصـة الأحـزان

(عقاب بلخير، 2011، ص 32)

ما نلاحظه في هذه الأبيات أن الشاعر قد وصف المرأة بالموجة التي تصعد عالية مع هبوب الريح حتى تصل الشاطئ، وكأن المرأة كانت بمثابة المحرك الذي حرك وجدان الشاعر من أجل أن يكتب هذه الأبيات، ولقد جسد فيها صورة الذات الإلهية لكون المرأة مخلوق مملوء بالعاطفة والحنان، وهذا ما جعل الشاعر يستلهم منها رمزاً للحب والعطاء وما تفيض به كلها من صنع الخالق وإبداعه.

2.7.رمز الطبيعة:

لفتت مظاهر الطبيعة انتباه الشاعر عقاب بلخير، وهذا من خلال سحرها وما أوجده الله عز وجل بها من بهاء وتنظيم دقيق، وقد سحر بها وانطلق في نظم القصائد فراح يصف ما شد انتباهه من مظاهر طبيعية خلابة؛ حيث اهتم بوصف ما رآه متجسداً في هذه الطبيعة من جمال وتركيب محكم، حيث نجده يتحدث عن فصل الربيع الذي يعد فصل البهجة والجمال وذلك في قوله في قصيدة" **عينا حبيبي**":

كـان الربيـع المنتشـي بجلالـه يحلـو لـه الإغفـاءُ وسـط عيونـه
يكفي من العين التي نظرت له ألاَّ تقـرَّ علـى مرافـئ لينـه
يـا غصـن رفقـاً بانحنائـك نحونـا مِلْنَـا ومَـال العمربعـد سـكونه

(عقاب بلخير، 2011، ص 36)

وقوله أيضاً:

تتـنفس الأوراق منـه وحولـه هـذا الغـدير المنتهـي فـي سـيره
والرّمـلُ فـي كـفِّ الريـاح عبـاءة لخطوبـه والليـل غـاب بسـتره
مـا عـاد مكشـوفاً لغيـر عيونـه ذلـك المسـافر فـي بسـائط نـوره

(عقاب بلخير، 2011، ص 35)

ما يلاحظ على هذه الأبيات هو وصف الشاعر لفصل الربيع ،ويظهر ما فيه من جمال وأوراق وأغصان وما يسحر أنظارنا من غدير ورمال ،وسكون الليل ورياحه، وهذا يوضح أن فصل الربيع كان بمثابة الرمز الموحي لجمال الطبيعة وسحرها الخلاب، وهذا كله يتجسد في عظمة الخالق وإبداعه وهذا ما جعل الشاعر يرى صورة الربيع تتجلى في قدرة الخالق وعظمته في الكون.

وعند المجيء إلى قصيدة أخرى من ديوان متن العارفين نجد الشاعر عقاب بلخير يتحدث في قصيدة " **انتساب**" حيث يقول:

فـلا تسـأل الأنـوار لا تسـأل الـدّجى فمـا امتزجـا إلا لحسـن إهابـه
ومـا انكشـف نجماتـه وهـو ضـاحك ولا راق فـي أيديـه سـحر خضـابه
ولا انفلقـت شـمس الصـباح بوجهـه ولا نزلـت ريـح الصّـبا بترابـه
ولا قالـت الأزهـار كيـف أضـمُّهُ لعطري وعطري بعض نفخ رضابه

(عقاب بلخير، 2011، ص 14)

ما يظهر هنا هو أن الشاعر صوّر لنا نور الصباح وكيفية ظهوره ،وهنا تتجلى عظمة الخالق في حلول الليل وظهور النور في الصباح ،مما يوضح لنا أن الله سبحانه وتعالى قد جعل كل شيء مرتبا ويسير وفق نظام دقيق في هذا الكون ،وهذه الرموز الطبيعية كلها إيحاءات توحي بوجود قوة عليا هي قوة الله وقدرته على تكوين هذا النظام الدقيق في الكون وفي الطبيعة بالضبط ،وهذا ما باح به الشاعر عقاب بلخير من خلال نسجه لقصائده التي فيها توضيحاً لرموز طبيعية توحي لنا بقوة وعظمة إلهية.

ويقول أيضاً واصفاً البحر في قصيدة " **التمازج**":

ترفـق بنـا يـا بحـر كيـف تثيرنـي وظـلّ حبيبـي صـاعد فـوق موجـه
ولا تـدّعي يـا شـمس أنّـك كنتهـا وليسـا وراء النـور غيـر حبيبـي

(عقاب بلخير، 2011، ص 62)

قام الشاعر بتصوير البحر وأمواجه، حيث طلب منه التريث وقام كذلك بتصوير حبيبته على أنها صاعدة على موجه تعانق البحر، ولعل هذا الوصف جعلنا نلمس روحاً عالية للشاعر وشعوراً صادقاً وفناء كليا في الطبيعة؛ حيث جعل الطبيعة رمزاً يدل على الالتحام بالذات.

3.7. رمز الخمر: تعد الخمر بمثابة الحب الإلهي عند الشعراء المتصوفين حيث كانت من أكثر الرموز استعمالا وتوظيفا في أشعارهم، فمفهوم السكر عندهم هو:«حالة ذاتية عالية يصل إليها الصوفي بعد أن يمر بمقامات الذوق، والشرب والري هو بقاء بعد السكر من الجمال الإلهي المطلق، ومن ثم فالسكر غيبة تسببها رغبة عارمة في لقاء الله ورهبة من هذا اللقاء، واندهاش وذهول بعد تحققه في إحساس الصوفي، فيغتني باطنه بمشاعر الغبطة والوله، والشوق إلى الغناء النفس والبقاء في الله».(وضحي يونس، 2006، ص119)

ولقد وظف الشاعر عقاب بلخير رمز الخمر في ديوانه " متن العارفين" في عدة قصائد ومن بينها نذكر:" قصيدة **"النّماء"**:

لقـد عـبَّ بالأقـداح كـلُّ معـاقر لخمـــر ودادٍ عطرهـــا يتقطـــرُ

فبـــين غنـــاء وانبهـــار وســـكرةٍ حواشيك يا محبوب كالخط تظهر

وقـــد رفَّ مـــا يلامســـه الرَّجـــا يغيـــب غيـــاب اليـــائس ويحضـــرُ

ويسـكرُ فـي خمـر الـوداد للحظـة ويصحو على حال من الوهم أخطر

عقاب بلخير، 2011، ص 33)

لقد وضح لنا الشاعر في هذه الأبيات الذات الوجودية التي توحي إلى الحب الإلهي التي تصيب كيان الشاعر، والتي تأخذه إلى حالة السكر والنشوة بخمر المحبة الإلهية.

وقوله أيضا في قصيدة " **عينا حبيبي**":

لا الشـــرب أرجـــو كـــي أراه خمـــرُ الحبيـــب عصـــيرها أجفانـــه بســـــــــــــــــــــكْرةٍ

.(عقاب بلخير، 2011، ص 33)

وقوله أيضاً في قصيدة " **حالات**":

والـذي مـن حالـه حـالي، حبيـب	**تائـــهٌ يســـكر مـــن خمـــر الـــوداد**

(عقاب بلخير، 2011، ص 28)

وفي الختام، يمكن الاستنتاج أن الشاعر عقاب بلخير استثمر هذه الرموز الموحية للتعبير عن عظمة الخالق وفناء ذاته في الحب الإلهي، ما مكّنه من صياغة قصائد تتغنى بهذا السحر الإلهي العظيم، لتجسّد العلاقة العميقة بين الإنسان والمطلق وتبرز التجربة الروحية في أبهى صورها.

خاتمة

"بعد الانتهاء من هذا البحث، توصّلنا إلى جملة من النتائج كان أبرزها::

- شكل حضور المرأة في ديوان متن العارفين للشاعر عقاب بلخير رمز كليا، حيث عبر من خلالها عن ذوبانه في الذات الإلهية، وهذا ما يوحي على قدرة الله في تشكيل هذا الكائن الأنثوي المحمل بصفات لها اختلافا واضحا.

- أخذت الطبيعة في الديوان نصيباً واضحاً، حيث عبر الشاعر عن الماء والأشجار والأوراق والرياح، وهذا ما جعلنا نكتشف أن الطبيعة قد احتوت على رموز خفية جعلت الشاعر يعبر عنها في قصائده؛ ليوضح للقارئ أن الذات العليا تتجسد قدرتها وعظمتها فيما تخفيه الطبيعة من جمال ومكونات.

- إظهار الشاعر لتجربته وذلك من خلال استناده على فضاءات روحية تعكس رؤيته؛ بحيث يكون عمله الفني الإبداعي عبارة عن تجربة عاشها، بحيث يقوم باستدعاء أو استحضار أمور تجعلنا نكتشف مهارة المبدع في اختياره للقصائد التي تعبر عما يكون في وجدانه، والتي تثير ما يوجد في ذاكرة القارئ في الوقت نفسه.

- استعمال الشاعر لرمز الخمر دليل على فنائه في الذات الإلهية، وكأنه في حالة سكر نتيجة الجمال الإلهي المطلق.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن سنان الخفاجي، (1953م)، سر الفصاحة، تح: عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، مصر، د-ط.

ابن منظور، (د.ت)، لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسن الله هاشم الشاذلي، دار المعرف، كورنيش النيل، القاهرة، طبعة جديدة.

أبو نصر السراج الطوسي، (د.ت)، كتاب اللمع في التصوف، تح: الدكتور عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مكتبة النشر، بغداد، د-ط.

بهاء الدين السبكي، (2003م)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ج04، مصر، د-ط.

حياة معاش، (2011م)، الأشكال الشعرية في ديوان الششترى-دراسة أسلوبية، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في الأدب المغربي، قسم اللغة والأدب العربي، تخصص الأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة.

الزمخشري، (د.ت)، أساس البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د-ط.

عقاب بلخير، (2011م)، متن العارفين، دار الأوطان، الجزائر، ط01.

فاطمة داود، (2004)، التصوف الإسلامي مفهومه وأصوله، مجلة حوليات التراث، العدد01، جامعة مستغانم، الجزائر.

الفيروز أبادي، مجد الدين بن يعقوب، (1426)، قاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقوسي، بيروت، لبنان، ط08.

القشيري، الرسالة القشيرية، (د.ت)، تح: عبد الحليم حمود، ج01، دار الكتب الحديثة، د-ط.

مجدي وهبة، (1984)، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط02.

محمد غنيمي هلال، (2001)، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط03.

محمد فتوح أحمد، (1984)، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، مصر، ط03.

ناصر لوحيشي، (د.ت)، الرمز في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط01.

نسيمة بوصلاح، (2000)، تجلي الرمز في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة إيداع الجزائر، د-ط.

وضحي، يونس، (2006)، القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د-ط.